بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في اصول الفقه:

أصول الفقه من العلوم الاسلامية التي ازدوج فيها العقل والسمع، واصطحب فيها الرأي والشرع، فانه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد، الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد[١].

وهذا العلم: من أجل الفنون قدراً: وأدق العلوم سراً، عظيم الشأن، باهر البرهان، أكثرها للفضائل جمعاً، وفي تخريج الاحكام الالهية نفعاً، ويكون الرجل فيه في الأسرار الربانية بصيراً، وعلى حل غوامض القرآن الكريم قديراً[٢].

تعريف أصول الفقه:

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية.

موضوعه: أدلة الفقه من حيث العوارض اللاحقة لها من كونها عامة وخاصة، وامراً، ونهياً، وغير ذلك.

فوائده: له فوائد جمّة وأهمها: التمكن من نصب الأدلة على مدلولاتها، ومعرفة كيفية استنباط الاحكام الشرعية منها.

---

(١) الغزالي ـ المستصفى جـ ٣/١.

(٢) البهاري ـ مسلم الثبوت جـ ٤/١.

غايته: الوصول إلى القواعد التي يتوصل بها إلى فهم الاحكام الشرعية.

فهو يبحث في الأوامر الواردة في الكتاب والسنَّة وكذلك النواهي فيهما، وينظر في أحوال هذه الأدلة وكيفياتها المتنوعة من أمرٍ ونهيٍ وعام وخاص وبالبحث فيها يظهر له أن الأمر يفيد الوجوب، والنهي يفيد التحريم.

نشأة علم الأصول:

بدأت العلوم الاسلامية وجودها وتطور مفهومها منذ العهد النبوي.. إذ كان نواتها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وعنهما تفرعت كل أنواعها وفنونها...

وقال ابن خلدون: إن هذا الفن ـ أصول الفقه ـ من العلوم المستحدثة في المِلَّة، وكان السلف في غُنْيةٍ عنه ـ وعلل ذلك بقوله ـ بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الاحكام خصوصاً، فمنهم أخذ معظمها.

وأما الأسانيد فلم يكونوا بحاجة إلى النظر فيها، لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم.

فلما انقرض السلف وذهب العصر وانقلبت العلوم كلها صناعة.. احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد، الاستفادة من الادلة فكتبوها فناً قائماً بذاته سموه (أصول الفقه).

أوائل التصنيف: قلنا إن هذا العلم بدأ مع بزوغ الاسلام المتمثل في الوحي كتاباً وسنة.. باعتباره منهجاً فكرياً في استنباط الأحكام من الأدلة... وكما هو الشأن في كل العلوم لا يبدأ متكاملاً دفعة واحدة... بل ينمو ويتطور حتى

يتضح المنهج ويستبين الأسلوب، كذلك علم الاصول باعتباره اصطحاب الرأي الشرع... وقد شرف هذا العلم أن تولّد منهجاً وتصنيفاً على يدي الامام المطلبي محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) في كتابه الشهير والمعروف (بالرسالة).

الباعث على تصنيف الرسالة:

قال الامام فخر الدين الرازي: أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لاخبار رسول الله ﷺ، إلا أنهم كانوا عاجزين عن الجدال والنظر، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالاً أو إشكالاً اسقطوا في أيديهم عاجزين متحيرين، وكانت هذه الرسالة بمثابة القانون القويم الذي يعوّل عليه، ويحتكم إليه، ومن ثم توالى الأئمة على شرحها والاستضاءة بنورها، واصبح علم الأصول علماً مستقلاً رتبت أبوابه، وحررت مسائله، ودققت مباحثه وألفت فيه المؤلفات، وحررت المصنفات وتشعبت طرق الباحثين فيه إلى طريقتين:

طريقة الفقهاء ـ أو طريقة الحنفية: وهي أمسّ بالفقه، وأليق بالفروع تقرر القواعد الاصولية على مقتضى ما نقل من الفروع عن ائمتهم، ولذلك عمدوا إلى تلك الفروع يؤلفونها إلى مجاميع يوحّد بينها التشابه ثم يستنبطون منها القواعد والضوابط.

طريقة المتكلمين: ويهتم أصحابها بتحرير المسائل، وتقرير الأصول وتقعيد القواعد تقعيداً نظرياً يسير مع العقل والبرهان دون نظر إلى فروع المذاهب، فما أيدته العقول والحجج من القواعد أثبتوه، وما خالف ذلك ردّوه ولم يلتفتوا إلى الفروع إلا عند قصد التمثيل أو التوضيح، وهؤلاء ينتسبون إلى مذاهب عديدة منهم الشافعية والمالكية والمعتزلة... وخاصة كتابنا هذا الذي نقدم له وهو المعتمد للقاضي عبد الجبار.

وطريقة هؤلاء جعلت الأصول تتحكم في الفروع، ومن ثم لم يتعصبوا

لمذاهبهم فيها، واستطردوا في ذكر أمورٍ نظرية لا مدخل لها في الاستنباط.

وعلى الجملة، فالأصول عندهم فن مستقل يبنى عليه الفقه.

أهم المصنفات على طريقة الفقهاء:

منها:

١ - مأخذ الشرائع للامام أبي منصور الماتريدي (٣٣٠هـ) مخطوط.

٢ - كتاب في الاصول للامام الكرخي (٣٤٠هـ) مخطوط.

٣ - اصول الجصاص للامام أبي بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي (٣٧٠) هـ قيد الطبع.

٤ - تقويم الأدلة لابي زيد الدبوسي (٤٣٠هـ) مخطوط.

٥ - تأسيس النظر لابي زيد الدبوسي مطبوع.

٦ - كتاب الامام فخر الاسلام البزدوي (٤٨٣هـ) وعليه شرح حافل يسمى كشف الاسرار لعبد العزيز البخاري (٧٣٠) في ثلاثة مجلدات مطبوع.

٧ - **أصول السرخسي**: للإمام أبي بكر محمد بن أحمد السرخسي (٤٩٠هـ) مطبوع.

ومن المؤلفات التي جمعت بين الطريقتين:

١ - بديع النظام. الجامع بين أصول البزدوي والاحكام للامام مظفر الدين الساعاتي (٦٩٤هـ) مخطوط.

٢ - التنقيح لصدر الشريعة (٧٤٧) هـ وشرحه التوضيح مطبوع.

٣ - التحرير لكمال الدين بن الهمام (٨٦١) وشرحه تلميذه ابن أمير الحاج (٨٧٩ هـ) سماه (التقرير والتحبير) وشرحه محمد أمين المعروف بامير بادشاه وسماه (تيسير التحرير) مطبوع[1].

---

(١) من منشورات دار الكتب العلمية بيروت.

٤ ـ جمع الجوامع للامام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) اختاره من مائة مصنف. مطبوع.

٥ ـ مسلّم الثبوت: للعلامة محب الدين بن عبد الشكور (١١١٩) وعليه شرح مسمى (بفواتح الرحموت).

كما انفرد عن الجميع بطريقة مبتكرة وهو الشاطبي المالكي في كتابه (الموافقات) وهو مطبوع ومتداول[١].

اهم مصنفات المتكلمين:

١ ـ أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤هـ). وله كتاب (الرسالة) وشرحه غير واحد من فقهاء الشافعية.

٢ ـ أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس (٣٠٦هـ) له: الرد على ابن داود في إبطال القياس.

٣ ـ محمد بن ابراهيم بن المنذر، أبو بكر (٣٠٦ هـ) له: اثبات القياس.

٤ ـ أبو الحسن الاشعري. علي بن اسماعيل (٣٢٤هـ) له (١) اثبات القياس، (٢) اختلاف الناس في الاسماء والاحكام والخاص والعام.

٥ ـ أبو بكر الصيرفي. محمد بن عبد (٣٣٠هـ) له: شرح رسالة الشافعي وكتاب دلائل الاعلام على أصول الاحكام.

٦ ـ محمد بن سعيد القاضي الشافعي ـ أبو أحمد الخوارزمي (٣٤٣هـ) له: الهداية.

٧ ـ والقاضي أبو بكر الباقلاني. محمد بن الطيب (٤١٣هـ).

وتعتبر كتبه من أهم ما صنف في أصول الفقه.. ومن كتبه وكتب القاضي عبد الجبار استمد معظم من أتى بعده من الأصوليين وله: التقريب والارشاد في ترتيب طرق الاجتهاد.

---

(١) قارن: الدكتور حسن هيتو / مقدمة اصول التشريع الاسلامي.

٨ - القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني. المعتزلي. قاضي القضاة (٤١٥هـ).

٩ - أبو الحسين البصري. محمد بن علي الطيب. (٤٣٦هـ) أحد أئمة الاعتزال. له تصانيف كثيرة، وآثاره في الاصول معروفة، وكلماته مدونة. له: المعتمد في أصول الفقه. شرح به العمد للقاضي عبد الجبار الهمداني. وهذا الكتاب أحد أركان الأصول التي اعتمدها الرازي، والآمدي، بل وكان الامام الرازي - رحمه الله - يحفظ عن ظهر قلب من هذه الكتب الأربعة [العمد. شرح العمد - المعتمد - المستصفى] كتابين هما المستصفى لحجة الاسلام الغزالي (٥٠٥هـ) والمعتمد لأبي الحسين البصري[١].

(١) فخر الدين الرازي - المحصول في اصول الفقه. دراسة و طه جابر العلواني.

المؤلف والكتاب

١ ـ المؤلف:

هو: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، شيخ المعتزلة صنفه الحاكم أبو السعد الجشمي في الطبقة الثانية عشرة من المعتزلة.

اتفقت عبارات المؤرخين على ذكائه وبراعته العلمية.. بصري سكن بغداد ودرس بها الكلام وله حلقة كبيرة، وكان قوي العارضة في المجادلة والدفاع عن آراء المعتزلة.

ـ قرأ على هلال بن محمد بن اخي هلال الرأي بالبصرة.

ـ وعنه عبد الله بن عدي الجرجاني.

ـ وكان جيد الكلام، مليح العبارة، غزير المادة، إمام وقته، له التصانيف الفائقة في الأصول منها: المعتمد.. ومنه اخذ فخر الدين الرازي كتاب المحصول. وقد طبع محققاً في ست مجلدات. وله: تصفح الأدلة في مجلدين، وغرر الأدلة في مجلد كبير، وشرح الأصول الخمسة، وكتاب في الإمامة واصول الدين. سكن بغداد وبها توفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر سنة ٤٣٦هـ[١].

الكتاب

كتاب المعتمد مصدر أصل في آراء واستدلالات المعتزلة بصفة خاصة.. وسجل حافل بآراء الاصوليين الآخرين وأدلتهم مع التحليل المسهب، والنقد

---

(١) تاريخ بغداد جـ٣/١٠١، شذرات الذهب جـ٣/٢٥٩، وشرح العيون ٣٨٧.

العلمي المجرَّد، ـ وكتاب المعتمد هو أحد الكتب الأربعة التي تعتبر أركان علم أصول الفقه.. ومنه أخذ فخر الدين الرازي كتابه المحصول[١].

في المنهج

تفصح عبارة المؤلف عن منهجه وهو يقول:

والذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب في أصول الفقه بعد شرحي كتاب العمد ـ للقاضي عبد الجبار ـ واستقصاء القول فيه، أني سلكت في الشرح مسلك الكتاب في ترتيب أبوابه. وتكرار كثير من مسائله، وشرح أبواب لا تليق بأصول الفقه من دقيق الكلام... فاحببت أن أؤلف كتاباً، مرتبة أبوابه غير مكررة، واعدل فيها عن ذكر ما لا يليق باصول الفقه من دقيق الكلام..

وإن القارىء لهذه الأبواب في اصول الفقه، إن كان عارفاً بالكلام فقد عرفها على أتم استقصاء وليس يستفيد من هذه الأبواب شيئاً.

وإن كان غير عالم بالكلام صعب عليه فهمها... فكان الأولى حذف هذه الابواب من اصول الفقه[٢].

تحليل ونقد: لابي الحسن البصري منهج ثابت على مدى مناقشته للموضوعات كافة وهي:

أولاً: ينهج منهج التحليل العلمي، ويعتمد المناقشة الصريحة.

ثانياً: محاولة ربط الموضوعات بعقيدة الاعتزال في التحسين والتقبيح. ووجوب الأصلح.

---

(١) وفيات الاعيان جـ٣/٤٠١.

(٢) محمد حميد الله.. على المعتمد جـ١/٧. ط. المعهد العلمي..

ثالثاً: استيعاب الوافي للآراء والاقوال.. وخاصة في نقله عن القاضي عبد الجبار وحكاية آرائه واقواله مع التنويه بمواقفه.

رابعاً: الاكثار من الأدلة مع العرض المسهب لأدلة المخالفين والاجابة عليها في انصاف واعتدال[1].

خامساً: الاستدلال لرأيه ولآراء الآخرين.. وعلى نفس المستوى.. هذا ولم يلتزم فيه منهجه اسلوب التقليد بل كان له اجتهاداته حتى أنه خالف المعتزلة في غير موضع. فمن ذلك: (إجزاء العبادة) و(العموم إذا اعقبه تقييد)[2] وغير ذلك من المباحث التي عرض لها المؤلف بجرأة وموضوعية وثقة بالنفس.

هذا: والكتاب يعتبر مأثرة من مـآثـر المؤلـف، وثـروة علميـة، ومفخـرة اصولية.. وحصيلة جهد فكري أصيل يسهم في اثراء الفكر الاسلامي والمكتبة الاصولية بوجه خاص تفخر الامة الاسلامية بأمثاله.. وان كان الأمر كما اثر عن الامام مالك قوله: كل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الحجرة الشريفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

حرره
مدير أزهر لبنان
الشيخ خليل الميس

بيروت منتصف شعبان سنة١٤٠٣هـ
١٩٨٣/٥/٢٦.

---

(١) المعتمد - جـ١/٣٠٦ - ٣٠٧ ط. المعهد.
(٢) الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان - الفكر الأصولي /١٨٢ - ٢١٣.